بين يدي الكتاب

عهد اللّغة العربيّة وأدبها فى ايران بعيدٌ جدّا فالجميع يعلم أنّ الايرانيّين اعتنقوا الاسلام مخلصين عند وروده بلادهم، وأقبلوا علي تعلّم القرآن الكريم مؤمنين به إيمانا صادقا عميقا، والعربية هى لغته ولغة الروايات والأحاديث لهذا فقد أحبّوها هى الأخري ايضا، بحيث إنّهم اعتبروا تعلّمها وتعليمها مقدمةً لازمةً لتعلّمه وتعليمه.

فى سنة ٢١ للهجرة عندما انهزمت الجيوش الايرانيّة أمام الجيوش الاسلاميّة واَصبحت بلاد إيران الواسعة خاضعةً للمسلمين، بدأ رواج اللّغة العربيّة وأدبها فيها لكنّ الناظر فى تاريخ الأدب الفارسىّ يتبيّن له أنّ الايرانيّين بعد أن أسلموا بدؤوا بتعلّم اللّغة العربية بسرعة بحيث لم تمض عليهم مدةٌ طويلة حتّي اَتقنوها جيّدا فكان نتيجة ذلك أن اتّجهوا صوب أدبها، فتعلّموه وأتقنوه إضافةً الى إتقانهم ثقافة اللغة العربيّة بحيث اَصبحت تبسط جناحيها علي كلّ بلاد ايران فى القرن الأوّل.

بعد أن احتكّ الايرانيّون بالعرب المسلمين وامتزجوا بهم وتعلّموا لغتهم وأجادوها، هاجر كثير منهم الى جزيرة العرب والعراق واستوطنوهما فبرز من هؤلاء أدباء مشهورون فى اللّغة العربيّة، شعراء و كتّاب خلّفوا لنا آثارا رائعةً فيها، كما أنّ عددا غير قليل من الفرس قدأمضوا مدة ليست بالقصيرة من عمرهم بين الأعراب فى البادية، فأخذوا لغتهم وأشعارهم وأمثالهم وبدؤوأ بأسلوبهم نظم الشعر العربى مضيفين اليه موادّ ثقافتهم وحضارتهم، فمثّلوا الرعيل الأوّل لشعراء العرب بعد الاسلام. علي هذا فليس غريبا اذا لم يعثر الباحثون فى تاريخ الحضارة الفارسيّة علي ادباء عرب من أصل فارسي فى القرن الأوّل، لأ نّه لم تمض علي الفرس تلك المدّة اللاّزمة لاستيعاب اللّغة الجديدة وترويض اَ لْسِنَتِهم عليها. أمّا بعد أن تمّ لهم ذلك فَبَدؤوا أولى تجاربهم فى الأدب العربى شعرا ونثرا، فى اَواخر العصر الأمويّ وأوائل العصر العباسىّ، كما أخذوا ينقلون التّراث الفارسىّ ـ سياسيّا وتاريخيّا واداريّاـ الى اللّغة العربيّة و فى مقدمتهم ابن المقفّع وأسرة آلنوبخت.

ومن الجدير بالذكر أنّ دعائم اللّغة العربيّة فى إيران فى القرن الثانى والثالث قد قويت وتوسّعت كثيرا فظهر شعراء فى إيران و فى البلاد العربيّة من اَصل فارسىّ، سبقوا العرب أنفسهم وفاقوهم فى ذلك كبشّار وأبينواس وغيرهما وخلّفوا لنا علي مدي الأيام شعرا جميلاً نقرؤه فنستسيغه ونعجب به ونرضي عنه ونُفتن به. واللافت للنّظر أن العرب والايرانيّين: أصبحوا يشكّلون حضارة واحدة هى الحضارة الاسلامية التى ألقت بظلالها عليهم جميعا، وساهم الإيرانيون فيها بسهم وافرٍ بحيث يمكننا أن ننسب أسمي الآثار الادبيّة فى اللّغة العربيّة شكلاً ومضمونا، شعرا ونثرا فى القرن الرابع الى الفرس، ذلك القرن الّذى يعتبر قرنا ذهبيّا للحضارة الاسلاميّة. ومع أنّ الفرس بعد القرن الرابع قد أُبعدوا عن بلاط الخلافة الاسلاميّة الّذي أصبح يرسف بالضعف والوهن سياسيّا واداريّا الاّ أنّ الحضارة الاسلاميّة كانت تقوي يوما بعد يوم.وكذلك كان حال اللّغة العربيّة، وما ان أطلّ القرن الخامس والسادس والسابع علي العالم الاسلامىّ حتى وجدنا عددا كبيرا من العلماء والادباء الفرس يدوّنون اَكثر آثارهم بهذه اللغة.

علي هذا فنحن نري أن هذه اللّغة شعرا ونثرا قد انتشرت انتشارا واسعا فى جميع اَرجاء إيران منذ القرن الاوّل و حتى نهاية القرن السابع، وأن الحضارة الاسلاميّة قد احتوت الحضارة الفارسيّة بشكل بحيث لايمكن للثانية أن تظهر بشكل مستقل عنالأولى، فكانت النتيجة أن اَصبحت اللّغة العربيّة لغة المثقفين المسلمين منالايرانيين و لغة ثانية لعامة المسلمين من غيرالعرب، لكنّ الايرانيين لم يكونوا ينظرون اليها علي أنها لغة اجنبيّة. مضافا الى هذا فانّ ظهور أعدادٍ لا تُعد و لاتحصي من

الأدباء والعلماء الايرانيين المسلمين فى مختلف المراكز العلميّة، وظهور الآلاف من المؤلّفات القيّمة علميّةً و اَدبيّةً حمل اَصحاب العقل والدراية علي الاعتراف بالفضل العظيم الّذى قدّمه الايرانيون المسلمون للإسلام ولغته، وبهذه الطريقة كان لهم فضل لاينكر فى حفظها ونشرها عن طريق كتبهم ومؤلفاتهم الّتى دوّنوها فيها. ونتيجة كل هذا أصبح هناك ادبٌ عربيّ خاصّ أُطْلِق عليه اسم الادب العربيّ فى اِيران، وقد لعب هذا الأدب دورا مهمّا علي مدي توالى قرون عديدة بعد الفتح الاسلاميّ حتى سقوط بغداد علي يد المغول، لعب دورا مهمّا فى جذب انتباه كثير من المحقّقين والباحثين، مسلمين ومستشرقين، فالآثار الاديبّة العربيّة الغزيرة التى خلّفتها لنا هذه القرون شعرا ونثرا، تكشف لنا عن التّطوّر العظيم الّذى حدث فى هذه اللّغة، هذا التّطوّر الّذى اعترف به ادباء العرب انفسهم قديما وحديثا، و هذا التّطوّر هو الّذى حَدا بنا أن نعقد النيّة بعد التوكّل علي اللّه تعالى وبعد أن كلّفتنا بذلك مؤسسة «سَمت» التّابعة لوزارة العلوم والبحوث والتقنية ـ علي بيان هذا التّطوّر بصورة مجملة من خلال تأليف كتاب يضمّ النّصوص الأدبيّة لهذه الفترة مع ترجمة اَدبيّة موجزة لأصحابها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخري فانّ المجلس الأعلي للتخطيط الدراسى الجامعى فى الجمهوريّة الاسلاميّة قد وضع، فى منهج قسم اللغة العربيّة و آدابها فى الجامعات درسا خاصّا باسم الأدب العربيّ فى اِيران، فظهرت الحاجة لتأليف كتاب بهذا العنوان للدّرس المذكور ليطّلع طلاب اللّغة العربيّة علي مدي تطوّر هذه اللّغة وآدابها فى اِيران، ويتّضح لهم مدي التّناسق المفيد بين اللّغة العربيّة وتعليم المناهج الدّينيّة فى اِيران، والذى دفع عجلة الاثنين معا نحو الازدهار والتّطوّر و لايفوتنا أن نقول إن هناك بعض الباحثين عربا وفرسا قد كتبوا فى هذا الموضوع وألّفوا بعض الكتب محلّلين فيها الادب العربيّ فى ايران من زاوية خاصّة، ككتاب *الشعر العربيّ فى العراق و بلاد العجم فى العصر السلجوقيّ*[1] و حول *الأدب السلجوقيّ*[2] و غيرها من الكتب و كذلك كتاب *الأدب العربي فى ظل بنيويةٍ*[3] و هذه الكتب لم تُؤلّف لأهداف تعليميّة دراسيّة فى الجامعات، لذا رأينا من اللاّزم اَنْ يُؤلف مثل هذا الكتاب.

يضم هذا الكتاب خمسة أبواب:

الباب الاول: يبحث ـ بصورة مجملة ـ تاريخ اللّغة العربيّة فى ايران ابتداء من الفتح الاسلاميّ حتى سقوط بغداد علي يد المغول وفى الباب أيضا بيان الأسباب الّتى أدّت الى انتشار اللغة العربيّة فى ايران و الى ظهور نهضة كبيرة فيها من الناحية العلميّة، بصورة مختصره ـ مع بيان نشاط الحكّام السياسيّين وأثرهم فى نشر هذه اللّغة و دفع عجلتها الأدبيّة والعلميّة الى الأمام.

الباب الثانى: و يتحدث عن تطور الأدب العربى فى ايران و ازدهاره و الأسباب التى أدت الى ذلك. كما يبحث عن بعض الظواهر التاريخية التى تركت ظلالها علي الأدب العربى فى ايران وصبغت بعضه بصبغتها كالصراع بين الموالى والعرب والنزعة الشعوبية، وماتركته المذاهب الكلامية والفقهية من آثار، والتفاعل الحاصل بين اللغتين الفارسية والعربية والتواصل الثقافى والحضارى بين الفرس و العرب، و دور العلماء الايرانيين فى تطور اللغة العربية و آدابها.

أما الباب الثالث: فقد تحدث عن حالة الشعر العربى فى ايران حتى نهاية الدولة العباسية، والدور الذي لعبته الدول الايرانية المختلفة فى دعم هذا الشعر او التقليل من أهميته. كما تمت دراسة ١٤ شاعرا كنماذج للشعراء الايرانيين الذين أنشدوا الشعرالعربى و ساهموا بدرجات متفاوتة فى تطويره والتأثير فيه.

---

[1]. مؤلفه الدكتور على جواد الطاهر.

[2]. مؤلفه الدكتور قاسم تويسركانى من منشورات جامعة طهران.

[3]. مؤلفه الدكتور محمود غنّاوى الزهيرى.

و خُصص الباب الرابع لدراسة النثر العربى فى ايران حتى سقوط الدولة العباسية، مستعرضين أعمال ستة من الأدباء الذين اشتهروا بنثرهم العربى.

الباب الخامس: يضمّ مجموعة من شعراء العربيّة الفرس الذين خلفوا لنا نثرا كثيرا و كتّاب العربية الفرس الذين خلّفوا لنا شعرا جيّدا حسنا فهؤلاء فى الحقيقة كانوا شعراء كُتّابا، أو كُتّابا شعراء، فنحن لانستطيع أن نُطلِقَ علي هؤلاء وأمثالهم شعراء فقط أو كتّابا فقط، لأ نّهم فى الحقيقة خلّفوا لنا آثارا نثريّةً وشعريّةً قيّمةً. فاذا أردنا أن نبحث عن هؤلاء وأمثالهم يجب علينا أن نبحث عنهم فى بابين، باب الشعراء باعتبارهم شعراء و باب الكُتّاب باعتبارهم كتّابا و هذا الترتيب ربّما يسبّب الاضطراب للطّلاب لتكرار مثل هؤلاء مرّتين مرّة فى باب الشعراء ومرّة فى باب الكتّاب فاذا كان التّرتيب التاريخىّ للكتاب فى الباب الرابع قد خرج عمّا هو عليه فى الباب الثانى والثالث فما ذلك اِلاّ لأ نّنا أردنا أن نبحث عن هؤلاء فى باب خاصّ متنكّبين البحث عنهم مرّتين.

ومن الجدير بالاشارة أ نّنا ذكرنا ملخّصا مهمّا لترجمة كلّ شاعر وناثرٍ مؤكّدين فيها علي أهمّ نقاط حياته الأدبيّة وأسلوبه الادبىّ قبل اَن نذكر أو نأتى بنصوص شعريّة أو نثريّة من أدبه.

أمّا فى انتخاب النّصوص، فكان منهجنا أن ننتخب نصّا ادبيا مهمّا حِكْميّا أو دينيّا أو أخلاقيّا، مدحا أو رثاءً أو غير ذلك، مؤكّدين فيه علي جمال النصّ أسلوبا ومضمونا، فربّما يكون للشاعر او الكاتب آثار شعريّةٌ أو نثريّة كثيرة، و لكنّ هناك بعض النّصوص الشّعريّة أو النّثريّة تتميّز عن بقيّة آثاره بما لها من قيمة فنيّة، وبما أحاطت بها من ظروف خاصّة سياسيّةٍ او دينيّة، مثل هذه النصوص هى الّتى أكّدنا عليها وحاولنا أن نقدّمها الى الطالب.

هناك بعض النّصوص والمقطوعات الشعريّة القصيرة تحتاج الى شرح وتوضيح، حاولنا توضيحها بصورة مجملة. وهناك بعض القصائد التى تحتاج الى شرح وتوضيح حاولنا شرح اَبياتها بيتا بيتا فى الهامش كما بيّنا ذلك فى لاميّة العجم للطّغرائي.

وهناك ايضا بعض النّصوص واضحة المعنى لاتحتاج الى شرح وتوضيح، مثل هذه النّصوص لم نتطرق الى بيان معناها لعدم الضرورة الى ذلك وتركنا تفسيرها وتوضيحها الى المدرس والطالب.

أمّا النّصوص النّثريّة، فقد حاولنا بيان معانى مفرداتها الصّعبة أو الغريبة فى الهامش علما بأ نّنا حاولنا أن نضبط جميع النّصوص بشكل يكاد يكون كاملاً.

وهناك ملاحظة من المناسب ذكرها وهى أنّ الشّاعر اذا كان ذا لسانين و كان له نصّ ادبىّ بديع فى اللّغة الفارسيّة ذكرنا مثل هذا النّص فى الهامش، ليعرف الطّالب مدي تمكُّن الأديب من اللّغتين نظير ما ذكرنا لشمس المعالى ابن وشمكير.

وأخيرا فنحن لاندّعى لهذا الأثر المتواضع الكمال والّتمام وعدم النّقص، فاذا وجد طريقه فى نفوس الطّلاب وكان مفيدا فنحن قد وُفّقْنا فى جمعه وتأليفه بعض التّوفيق، نسأل اللّه تعالى أن يُسَهّل له ذلك، عليه نتوكّل واليه نُنيبُ.

شعبان ١۴٢۵ ه . ق

عبدالغنى ايروانى‌زاده

نصرالله شاملي

جامعة اصفهان ـ كلية اللغات الأجنبية